

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص دراسات أدبية

أدب عربي قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الموسومة بـ:

دراسة كتاب  
أثر الصحراء في الشعر الجاهلي  
"لسعدي ضناوي"

إشراف الأستاذة:

د. سلس حفيظة

من إعداد الطالبتين

نورين حليلة

سماعيل سميرة

السنة الجامعية: 2020 / 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# كلمة شكر وعرافان

يقول تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (1)

الشكر أولا وأخيرا لله رب العزة والجلالة الذي هداني لهذا وسهل لي طريق العلم وارتياحه

وبعده أتقدم بوافر الشكر والتقدير والتواضع لفضيلة الأستاذة الدكتورة سلس حفيظة،

مثال الصدق والصبر والتواضع وبحر العلم التي أشرفت على هذا البحث،

فقد كانت نعم المعينة والموجهة والمشرفة نسأل الله لها الصحة والعافية

وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتها

كما نخص بالشكر لأسرتنا وعشيرتنا التي ضحت من أجلنا

وأفسحت لنا الطريق والشكر أجزله لكل

من ساعدنا وسهل لنا كثيرا من الصعاب

والشكر أيضا لجامعة عبد الحميد بن باديس الصرح الشامخ

للعلم والمعرفة

# الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الذي لم يحرمني يوماً من حنانه إلى أعز وأغلى الناس

أبي الكريم

الذي منع نفسه ليعطيني، وتعب لأرتاح، وطالما شجعني ودفعني إلى الأمام

إلى التي عانت وقاست وتحملت من أجلي مشاق الحياة، إلى التي كرمها الله ورفع شأنها إذا وضعت

الجنة تحت أقدامها، إلى التي أهدتني الحنان والحب والرعاية أمي الغالية

إلى إينحوتي: هوارية، رشيدة، وأحمد، ومحمد

إلى بنات وابن أختي: ملاك، مروة، خير الدين

إلى رفقاء دربي الذين رافقوني خلال مشواري الدراسي:

سمية، بختة، وردة، كريمة، فايذة، مروة

غلى من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع:

حلية، ونجاة

إلى كل طلبة قسم اللغة العربية وآدابها

إليهم أقدم جهدي عرفان بالجميل وتقديراً لهم جميعاً

سماعيل سميرة

# الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أحلى كلمة ينطق بها اللسان وإلى من تمد الحنان بدون حسابان إلى من منعت

عن نفسها أشياء من أجل مستقبلي فأملني رضاها وما عشت لولاها

أمي الحبيبة

إلى من منحني السعادة وحرمت نفسه منها إلى الذي أنا مدينة له بكل شيء ولم أعطه أي شيء إلى

أغلى ما فقدت إلى روحه الزكية أبي الغالي رحمه الله

إلى الذي كان أبا ثاني وسندا لي في مشواري الدراسي عمي الوجداني.

إلى من لا مثيل لهم في الوجود، إخوتي، شفيقة، محمد، عبدو، نجوى.

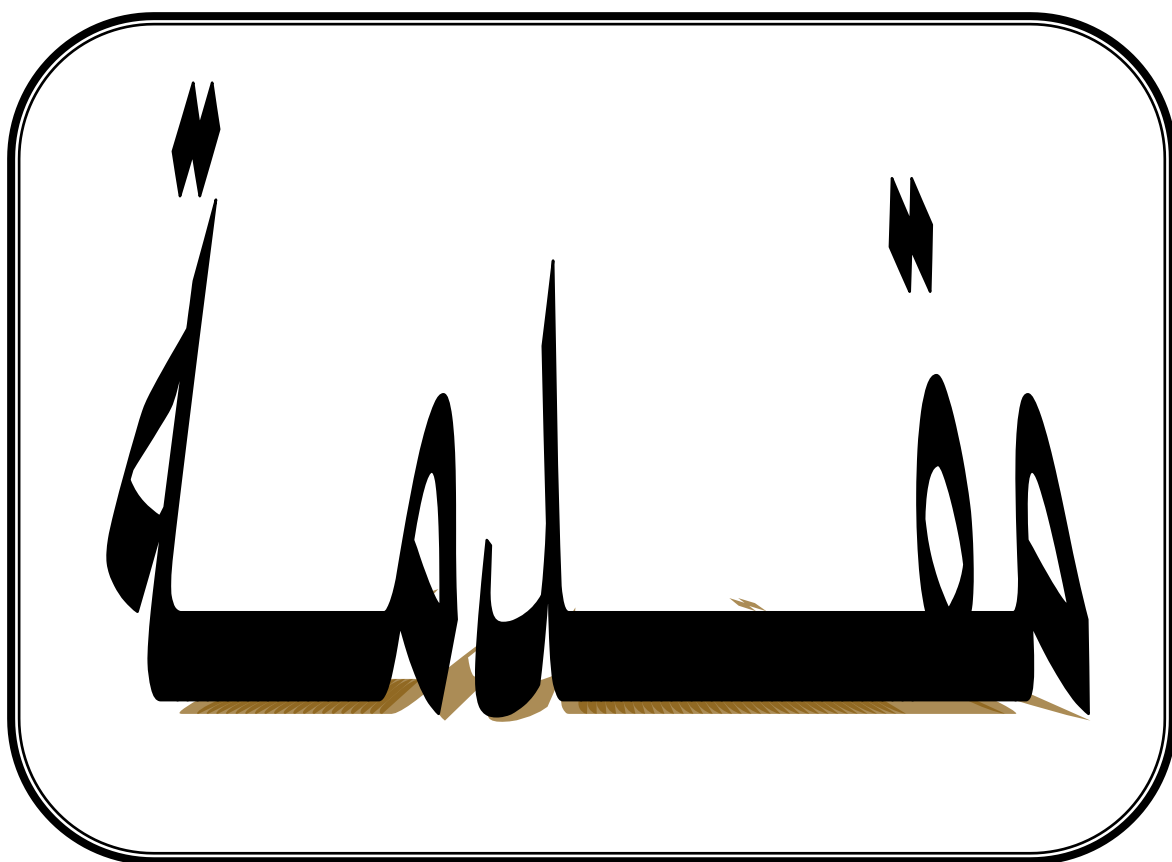
تحية خاصة إلى عمي، إلى باقي الزهور التي عطرت قلبي وأزهرت أيامي عماتي: خيرة، حضرة.

إلى من شاركوا الضحك والبكاء إلى منبع الدفء والاطمئنان صديقات، زهية، حبيبة نورية، نعيمة،

حفيظة، غنية، مريم، شهرة، حياة، فايزة.

إلى كل من يحملهم القلب ولم يذكرهم القلم.

نورين حليلة



مما لاشك فيه أن دراسة الشعر الجاهلي الذي يسبق ظهور الإسلام بخمسين ومائة عام أو مائتين على أبعد تقدير، فهو يمثل تراثاً غنياً وضرورياً بالنسبة للعرب الذين عنوا به وتمسكوا بنسبته إليهم لماكن يمثله من تطوير حياتهم ورسم حضارتهم والتعبير عن أفكارهم وذكر مآثرهم وإبراز مشاعرهم وإحساساتهم، وقد كانت العرب بصفة خاصة وكانت القبائل تهتز بمآثرها من نتاج أدبي، وتنتبه على غيرها بالكثير المحفوظ لها منه، ويعتز السادة بما قيل فيهم وفي أسلافهم مكن روائع القول وفصيح البيان، فتسابق الكل في جمع ما كان لهم ولذويهم وأسلافهم من آثار.

ولنا أن نضيف أمراً مهماً وهو أن معنى الصحراء لا يجب أن يؤخذ مجرداً، كما يفهم عادة، معطياً صورة الرمال الصفراء المتراكمة، إنما نعني بالصحراء الصحراء العربية بالذات، بطبيعتها المتقلبة بين الرمال والحجارة، بين السهوب والحزون، مما يكثر في الشعر وهذا ما تطرق إليه سعدي ضناوي في كتابه "أثر الصحراء في الشعر الجاهلي" الذي يمثل موضوع دراسة لبحثنا هذا، مبيناً فيه أثر الصحراء في الشعر وكيف وصفها الشعراء الجاهليون في أشعارهم.

فالشعر الجاهلي من أهم الدراسات الأدبية التي ينبغي لدارس الأدب الأدبي أن يعنى بها ويغترف منها ويلتحم بها، لذا تعددت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أهمها:

- أن الشعر الجاهلي هو أقدم ما وصلنا من فنون الشعر العربي قاطبة، وعلى الرغم من امتداد عصور الأدب العربي المختلفة من العصور الإسلامية إلى أدبنا المعاصر فإننا لا نستطيع أن نعني بهذه العصور الممتدة ونترك العصر الجاهلي لأنه الأصل.
- كان الشعر قديماً ديوان العرب صور حياتهم ورسم مواقعهم وأشاد بذكر وقائعهم وفخر بمآثرهم وعاب عن بعض مثالبهم، ومن ثم نستطيع أن نتعرف على حياة العرب وظروف معيشتهم قبل الإسلام معتمدين على كثير مما ورد في الشعر الجاهلي.
- الشعر الجاهلي من أهم الفنون العربية التي أبرزت الوجدان العربي والنزاعات الفردية المتعددة للإنسان الجاهلي ومحاولته التماس معالم الصحراء المادية والمعنوية والنفسية التي فرضتها على ساكنيها كما تظهر من خلال الشعر بعض الحقائق المتعلقة بالجغرافية الطبيعية والبشرية، مما لا سبيل للإغفال عنه.

ومن خلال ما ذكرناه عن الشعر الجاهلي نتوصل إلى طرح عدة إشكاليات منها:  
كيف وصف الشعراء الجاهليون الصحراء؟ وفيما تمثل أثر الصحراء في الشعر الجاهلي؟  
وهل كان للصحراء أهمية في الشعر الجاهلي وما مدى تأثير الصحراء معنويا وجغرافيا  
عند الشعراء الجاهليين؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات قمنا بتسطير خطة بحث تتكون من خمسة فصول،  
تناولنا في الفصل الأول المعنون بمواطن الشعر الجاهلي، والمفصل إلى ثلاثة مباحث  
المناخ والنبات والحيوان، أما الفصل الثاني تحت عنوان صفات البدوي في ترحاله المكون  
من أربعة مباحث بعنوان صفات عامة للإنسان والتفصيل في صفات البدوي وحياة التنقل  
وكذا النزوح والضعن، بينما تطرقنا في الفصل الثالث المعنون بمراحل أسفار البدوي إلى  
أربعة مباحث بعنوان البدوي والسفر من ملامح وأخطار السفر، النزول وتوقيت وساعة  
الرحيل، أما الفصل الرابع المعنون بالإطلال تطرقنا فيه إلى معالم الطلل والطبيعة ووحى  
الطلل، أما الفصل الخامس والأخير المؤطر بعنوان طابع الشعر الجاهلي تناولنا فيه أربعة  
مباحث بعنوان البدائية والشعر، المادية وضعف المنطق، الإيجاز، موسيقى ساذجة، وفلذات  
وجدانية.

معتمدين في دراسة هذا الكتاب على مجموعة من المصادر والمراجع منها كتاب أثر  
الصحراء في الشعر الجاهلي للدكتور سعدي ضناوي وكتاب تاريخ العرب لحتي وجبور  
وكذا مهد العرب لعبد الوهاب عزام.

اتبعنا في هذه الدراسة أكثر من منهج من مناهج البحث مما رأيناه يحقق الغاية  
والمنهج التكاملي، فقد أخذنا المنهج التاريخي للوصول للبيئة الاجتماعية والأدبية والفكرية  
والمكانية للصحراء، واستعنا بالمنهج الوصفي للوقوف على جوانب الحياة العامة وطبيعة  
ومناخ البيئة الصحراوية ووصفها ثم تناولنا الجانب النفسي للشاعر البدوي من خلال  
عرض بعض أشعارهم ومدى دلالة ما تناولناه من رؤى في جوانب طبيعتها الجغرافية  
والمناخية وغيرها.

نشكر الله تعالى على إتمامنا لهذا البحث رغم الصعوبات التي واجهناها مثل ضيق  
الوقت وتشعب الموضوع وصعوبة المصطلحات الجاهلية.

مدخل

تأثر الشعر الجاهلي بالصحراء في مختلف جوانبه في الشكل والمضمون والموضوعات والمتبع للشعر العربي القديم يستطيع أن يرجع كثيرا من ألفاظه إلى وحي الصحراء ومظاهرها وطبيعة الحياة فيها وتمثل هذه الألفاظ الشعرية معجما لغويا كبيرا يكون في مجمله جانبا لا يستهان به من مفردات اللغة العربية من أسماء الصحراء وصفاتها ووصف جبالها ووديانها وما يتعلق بطبيعتها المتحركة منها والسكنة وهي ألفاظ كثيرة تتصل بالحيوان والنبات والمطر والخريف إضافة لما يتعلق بالحياة الأخرى.

ففي مفهومها اللغوي وردت معاني ودلالات منها لفظة "صحرا" المكونة من الصاد والحاء والراء، أصل في بنية الكلمة تدل على أصلين أحدهما البراز من الأرض والآخر لون من الألوان، و"صحرا": هي الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل هي الفضاء الواسع لا نبات فيه، قال ابن شميل: «الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء، يُقال صحراء بيّنة والصّحوة، أصحر المكان أي اتسع، أصحر الرجل أي نزل الصحراء، أصحر القوم برزوا في الصحراء، الجمع الصحاري، الصحاري. أما بمفهومها الاصطلاحي تعني أنها فضاء متسع ممتد قليل الأمطار، لا أنهار فيها ولا مياه متوفرة ولا عيون جارية ممتدة متفرقة عشبها وشجرها، ذات جو جاف.

والبيئة هي المحيط الذي تدخل تحته كل المعاني والألفاظ والكلمات والأسماء والإيحاءات فتتطبع وتخرج معبرة عنه، وقد أثرت الصحراء في كل مناحي الحياة في الصفات والأسماء وهي مستمدة منها، فقد علّمت البدوي الجلد والصبر والقوة، ولذلك نشأ على البطولة والمحامد، وأوحت إليه بالشدة والقوة، فالحيوانات أهم وسائل الحياة في الصحراء حتى أصبحت الناقة تنافس المرأة في مكانتها من قلب الشاعر وفي حظها من ذكره وتصويره.

ولذلك عظم البدوي كثيرا من الأشياء المحيطة به فوهبها أسماء وصفات كثيرة بدء من الصحراء نفسها وكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى ولذلك فاضت الألفاظ والكلمات المعبرة عن محيط البيئة الصحراوية ومحتواها ولذلك حفل الأدب العربي الجاهلي في الصحراء بكثير من المعاني المتعلقة بالأنواء والأمطار والجفاف والجذب والخصب والنبت والصيد والطرْد والضعن والفرس والناقة، لذلك كان للبيئة أثر في اللغة حتى ليصبح تشبيهه

النفس الإنسانية بالقيثارة توقع عليها الطبيعة ضروبا من الألحان والأنغام وهي رجع لما في البيئة الطبيعية من عوامل ومظاهر أكثر ما هي صدى لغيرها من المؤثرات. فالشعر الجاهلي تاريخ سجل كل الأماكن والصور فهو أصل الأدب العربي وجذره الذي منه نبت وفرع وأزهر، وقد أكثر معظم الشعراء من ذكر أسماء أماكن في الصحراء منهم امرئ القيس ووردت في أشعاره أسماء أماكن مثل: (الدخول، حومل، توضح، المقرأة، سحام، الهضب)، وغيرها.

ومن هذا المنطلق عالج العديد من الأدباء والمفكرين أثر الصحراء فغي الشعر الجاهلي ومن بين هؤلاء نذكر سعدي ضناوي الذي ألف كتابه أثر الصحراء في الشعر الجاهلي الذي تناول فيه دراسة عن بيئة الصحراء، فتحدد معالمها وتتبع هذه المعالم في الشعر الجاهلي من الأرض إلى الجو والسماء، من المطر إلى الجفاف إلى الحر والقر، كما تتناول النبات والحيوان وكيفية تعامل البدوي معها.

وهي تتوقف أمام الإنسان في طبيعته وطبعه، وفي نمط حياته الذي فرضته البيئة، حياته المنفردة وحياة جماعته، حياتي الحل والترحال...

وهي تتطرق إلى تصوراته وأفكاره وقيمه، وكذلك إلى رموزه، رموز بشرية أو حيوانية أو جامدة، ولا تهمل الحديث عن معاناته الدائمة وآلامه ومظاهر شقائه ودون أن تغفل أفراحه وآماله ومفاخره... كل ذلك من خلال الشعر الجاهلي وحده.

وإذا كان لهذه الدراسة من طابع، فهو المنهجية القائمة على قاعدتين: وحدة الموضوع والإحاطة.

فموضوع كل فصل محدد بصورة واضحة، وبالقدر الذي تسمح به الدراسة الأدبية المتكاملة فلا تشابك ولا استطرادات ولا تعليقات خارجة عنه... قد نجد هناك بعض التكرار في استخدام الشواهد، وهذا يعود إلى أن العربي يضغط ببيته الشعري ليحمله أقصى ما يستطيع، فيكون البيت الواحد أحيانا لوحة كاملة، وفيه غير معلم من معالم الحياة، لذلك يغدو الشاهد شواهد...

وهذا الموضوع المحدد يتم تناوله من معظم النواحي التي تطرق إليها الشعراء الجاهليون، مما يساعد على إبراز الصور الجاهلية بوضوح: هكذا ترسم صورة للمناخ، أو

صورة لعالم النبات وأخرى لعالم الحيوان، كما تتكامل صورة الإنسان وملامح حياة الضعن والحروب والأسفار، وصورة المصاعب والأخطار.

أ- دراسة خارجية للكتاب:

- العنوان: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي.
- تأليف: سعدي ضناوي.
- تاريخ النشر: 01 جانفي 1993.
- الناشر: دار الفكر اللبناني.
- النوع: ورقي، غلاف عادي.
- الحجم: 17 x 24.
- الصفحات: 344 صفحة.
- الطبعة: 01.
- المجلدات: 01.
- اللغة: عربي.

- دراسة صورة غلاف كتاب أثر الصحراء في الشعر الجاهلي للدكتور سعدي

ضناوي:

هي عبارة عن صورة الصحراء أي كثنان رملية كبيرة وجوّ حار وجاف، وهذا دلالة على أن الصحراء فضاء واسع لا ماء فيه ولا أنهار ولا جداول كما أنه يحتوي على نباتات صحراوية جافة مثل الصبار والشيخ والأشواك، وصورة لنصف وجه رجل عربي جاهلي قديم أسود البشرة يرتدي عمامة على رأسه لتقيه من حر شمس الصحراء التي أمضى حياته فيها والتي أثرت على سلوكاته وأخلاقه وعاداته تقاليده.<sup>1</sup>

ب- بطاقة داخلية للكتاب (باطنية):

بدأ الكتاب بإهداء للدكتور "جبور عبد النور" ثم مقدمة الطبعة الأولى ومقدمة للكتاب

وتوطئة.

- قسم كتابه إلى ثمانية فصول تتفرع إلى عناوين أساسية وثنائية.

1 - موطن الشعر الجاهلي:

- المناخ.

- النبات.

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993.

- الحيوان.

## 2 - صفات البدوي في ترحاله:

- صفات عامة للإنسان.

- التفصيل في صفات البدوي.

- حياة التنقل.

- النزوح والضعن.

## 3 - مراحل أسفار البدوي:

- البدوي والسفر.

- من ملامح وأخطار السفر.

- النزول.

- توقيت وساعة الرحيل.

## 4 - الإطلال:

- معالم الطلل.

- الطلل والطبيعة.

- وحي الطلل.

## 5 - طابع الشعر الجاهلي:

- البدائية والشعر.

- المادية وضعف المنطق.

- الإيجاز.

- موسيقى ساذجة وفلذات وجدانية.

الفصل الأول  
موطن الشعر الجاهلي  
(المناخ، النبات، الحيوان)

### أولاً: موطن الشعر الجاهلي

إلى الشمال من الخط الذي يصل عمان ومهرة وحضر موت إلى اليمن، وإلى الغرب من الأحساء، وإلى الشرق من الحجاز، إقليم واسع الأطراف، شاسع المساحة، يشكل أكبر قسم من الجزيرة العربية.

هذا الإقليم عبارة عن مرتفع غير متساوي السطح، يعرض اختلافاً شديداً في تكوينه وطبيعته ومناخه، تغمر أكبر قسم منه الرمال مشكلة الصحاري تحيط بإقليم نجد من جهات ثلاث:<sup>1</sup>

1. **نجد:** وفي "نجد" تأتلف البداوة والحضارة والسهل والجبل والقرى والمضارب، وتترعرع الروح العربية الأصيلة، في شمالية أرض شمّر الخصب الذي يستمد مياهه من جبلي "أجأ وسلمى" وهما موطن طيء تعرف به ويعرف لها، جبالان شامخان طالما وجد العرب فيهما رمزا للصلابة والصبر على الحوادث والأرزاء، وطالما دارت حولهما أساطير لهم وحكايات.

وفي شرقية أيضاً جبال كثيرة (الوشوم). «وسهل نجد الفسيح الذي يمتد بين الوشوم في الشرق وحرّة خيبر في الغرب جبال شمّر في الشمال يسمى (القصيم)، والقصيم. في اللغة الرمل الذي ينبت الغضا... وفي غربي القصيم جبلاً أباد الأسود والأحمر».<sup>2</sup>

### 2. الصحراء الشمالية:

ويفصلها عن نجد جبال شمّر وطي، وهي قسمان:

- **القسم الأول:** وهو الشمالي، بادية صلبة الأرض تتخللها أودية تسيل من الغرب إلى الفرات أعظمها وادي حوران، وفيها واد كبير يسمى وادي السرحان، وهو يسيل من جبل حوران صوب الجنوب والشرق حتى ينتهي إلى قرية الجوف، وينبت على جانبيه واحات خصبة.

- **والقسم الثاني:** من الصحراء الشمالية، وهو الجنوبي، يتكوّن من صحراء النفوذ وهي «قفار متسعة ذات رمال بيضاء وحمراء تسفيها الرياح فتجعل منها كثباناً أو تلالاً تغطي

<sup>1</sup> د.سعدى ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص17.

<sup>2</sup> عبد الوهاب عزام، معهد العرب، دار المعرفة، مصر، [د.ط.]، 1946، ص74-75.

جزءا كبيرا من شمالي الجزيرة العربية».<sup>1</sup>

3. **الدهناء:** وهي أرض رملية حمراء تمتد من النفوذ شمالا إلى الربع الخالي جنوبا

بشكل قوس يبتعد طرفاها الواحد عن الآخر أكثر من 600 كيل...<sup>2</sup>

وهذه الأرض الرملية تشكل جبالا، وقد اورد ياقوت عن أبي منصور، أنها من ديار

تميم: «وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها، بين كل جبلين، شقيقة».<sup>2</sup>

4. **الصحراء الكبرى:** تقع إلى الجنوب من نجد وإلى الشمال من حضر موت وشحر،

وبين عمان شرقا واليمن غربا، وهي صحراء مترامية الأطراف وجهولة النواحي.<sup>3</sup>

### ثانيا: المناخ

تقع الجزيرة العربية كلها تقريبا داخل نطاق الحرارة القصوى الذي يطوق العالم في

شهر يولييه. ويرد الجغرافيون هذا إلى أن قسما منها يقع في منطقة الرهو المدارية ذات

الضغط العالي والمطر القليل، والقسم الآخر في حيز الرياح التجارية الشمالية الشرقية

الجافة التي تزداد حرارتها كلما تقدمت إلى الجنوب.<sup>4</sup>

1. **الفصول:** ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار، وهو الخريف،

الربيع الأول، ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني، وكلهم

مجمعون على أن الخريف هو الربيع.

- فتكون الفصول أربعة هي: فصل الربيع (يقابله الخريف في العرف) ثم فصل الشتاء

يتبعه الصيف (يقابله الربيع عرفا) ثم فصل القيظ (وهو فصل الصيف عرفا).<sup>5</sup>

فيورد الألويسي في "بلوغ الأرب" تقسيما للسنة إلى أربعة أجزاء (أرباع):

أ. **الربيع الأول من السنة، الربيع:** ابتداءه من تاسع عشر يوما من آذار وبعضهم يجعله

من عشرين يوما منه فيتساوى حينئذ الليل والنهار.

ب. **الربيع الثاني، الصيف:** ومن أنواعه، يد سعد السعود وهو كوكبان أحدهما أنور من

الآخر، سمّي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع الذي يعيش به الحيوان من النبات.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عبد الوهاب عزام، معهد العرب، المرجع السابق، ص38.

<sup>2</sup> حتي وجبور، تاريخ العرب مطول، ج1، دار الكشاف، [د.ط.]، 1958، ص19.

<sup>3</sup> نفس المرجع، تاريخ العرب، ج1، ص19.

<sup>4</sup> عبد الوهاب عزام، معهد العرب، دار المعرفة، مصر، [د.ط.]، 1946، ص8.122.

<sup>5</sup> د.سعدى ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص22.

<sup>6</sup> المرجع السابق، سعدى ضناوي، ص25.

ج. **الربيع الثالث، الخريف:** ومن أنواعه: "الشرطان" وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله. ومنها «الثريا: سميت بذلك لأن مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى».

ح. **الربيع الرابع، الشتاء:** ومن أنواعه: «الصرفة وهو كوكب وقاد عنده كواكب طمس. سمي بذلك لانصراف البرد بسقوطه والحر بطلوعه».

## 2. الجذب:

لما كانت الأبخرة قليلة المتصاعدة من البحر الأحمر قليلا ما تصل إلى منحدرات الجبال الشرقية وإلى الصحراء، فإن الرياح الموسمية الباردة، في أكثر الأحيان تسيطر وحدها على ميدان الصحراء، فتصول وتجول غارسة الفقر والجوع والقرد وتنتاب البلاد مواسم جفاف قد تستمر ثلاث سنوات أو أكثر وتسميها العرب "السنوات الشهب"<sup>1</sup>.

3. **مظاهر الخصب:** إن الجذب في الصحراء لا يعود إلى يعود إلى طبيعة تربتها فهي إذا هي رويت، أخرجت عشا ونباتا يساهم الحر والجفاف في نموه بسرعة عجيبة، شأنه في ذلك شأن المناطق الاستوائية، إنما يعود الجذب إلى كون الصحراء أقاليم واسعة مكشوفة تتعرض لأشعة الشمس القوية دونما أنهار كبيرة تخترقها فتسقي سهولا فيها أو ترطب جوها، ودونما إحراج كثيفة تلطف المناخ وتنتشر الفيء والظل، ويبقى موردها الوحيد هو المطر.

وهكذا فإن السمة البارزة في مناخ الصحراء هي الجفاف والحر والتطرق وعدم الاستقرار والبعد عن المساواة، ذلك أن المطر لا يهطل دفعة واحدة على جميع أنحاء الصحراء.<sup>2</sup>

## ثالثا: طبيعة الصحراء ومناخها في الشعر الجاهلي

### 1/ الحر والقر:

### أ - الحر والقر:

وهما أبرز المظاهر للمناخ المتطرف الذي اختصت به الصحراء، وكلاهما ملازم

<sup>1</sup> حتي وجبور، تاريخ العرب مطول، ج1، دار الكشاف، [د.ط]، 1958، ص20.

<sup>2</sup> المرجع السابق، حتي وجبور، ص21.

لقلّة الأمطار ولهبوب الريح القوية، لا تسوق سحباً ولا تحمل خيراً، إنما تجلب معها لظى من نار أو برداً لا يطاق، تحرق الزرع وتأتي بالعطش والجوع الذين يشندان حتى يخرجوا بالإنسان عن إنسانيته ويجعلاه يكفر بالقيم التي طالما فخر بها وحافظ عليها، فالحر والقر هما سببا مباشرا في الفقر فهما يجعلان الأمل في الحياة يتشبث بالقطرة من الماء وبما يعلق بالقدور من آثار المرق.<sup>1</sup>

### ب- القرى وقت الشتاء:

وهو مفخرة البدوي، كما قلنا بل مفخرة إنسانية، لأن الحمد والثناء مهما غلت قيمتهما، فهي لن تعادل ما يتطلبه هذا العمل من اقتناع بضرورة حرمان الذات في سبيل الآخرين، ولقد رأينا العربي يستعد لهذه الفترة بتعويد نفسه البقاء على الطوى، فحمل ألم الجوع أهون عنده من عار يلحق إذا وهم بالبخل وادخار الزاد، فالبادرة إذن إرادية اختيارية، ولأجل هذا تحبس النوق ولا ترسل إلى المرعى لتكون دائماً في متناول اليد فتتحرر للأطياف وللجياح.<sup>2</sup>

### ج- على هامش الحذب والقحط:

إن الحياة في الصحراء تقتضي التقم الحقيقي لطبيعتها، فالجذب يحدد البدوي في كل سنة، وقلة الزاد قد تفتك به دوماً، وعليه أحد أمرين: إما يختزن مؤنثته لأيام الشدة وإما أن يعتاد القلة ويروض نفسه على الجوع، والوسيلة الأولى لا تكون إلا في الحياة المستقرة ولا سبيل إلى حمل الزاد في كل حل وترحال.

لذا فإن البدوي الكريم الأنف الذي يأبى أن تذلل نفسه بسبب جوع، يختار حياة التقشف يرتضيها لنفسه ويفخر بها واجداً فيها رمزا للأنفة وسبيلاً للكرم، إذ أنه يعطي زادة الخاص لضيفه حين يقل الزاد.<sup>3</sup>

### 2/ الأمطار والغيوم والموارد:

ما من مكان في الجزيرة العربية يظهر فيه دور إنعاش الحياة. فالأمطار هي التي تحرر الأراضي الشاسعة من القشرة المعدنية والفضلات الملحة التي تتجمع خلال فترات

<sup>1</sup> هنري لمنس، [د.ط.]، [د.ت.]، ص148.

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص34.

<sup>3</sup> نفس المرجع، سعدي ضناوي، ص38.

الجفاف، وهي تخلص النباتات والأشجار من نجارها ومن الغشاء الملح الذي يكسوها.<sup>1</sup>

### أ. الماء والموارد:

عني البدوي الشاعر بوصف الماء وموارده، كما عني البدوي عموماً بالبحث عنه والتعرف إلى أماكنه والموارد إما أن تكون ماء سطحياً يسيل على وجه الأرض، أو ماء مجتمعنا في حفرة أو بئر، ومن المعاني التي استوحاها البدوي من الماء، معنى القرارة والتدفق، مع أن البدوي لا يجد في صحرائه نهراً صاخب الأمواج ولا شلالات تتساقط، إنما كل ما شاهده دلاء تستخرج الماء من البئر ثم تفرغه في جدول لا يلبث أن ينقله إلى الزرع، ويحلو للشاعر الجاهلي أن يشبه الدموع في غزارتها بهذا الماء وبماء الأنهار الصغيرة لا ينقطع.

"قرهير بن أبي سلمى" يبكي بدموع كأنها تنصب من الدلاء تملأها وتفرغها ناقة  
ذللها سقاء النخيل:

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضج تسقي جنة سحقا

تمطو الرشاء فتجري في ثنايتها من المحالة سقيا رائداً قلِقاً<sup>2</sup>

### ب. على هامش الورود:

إن الموارد مراكز مهمة في عالم الصحراء، وليس الشاعر وحده الذي يغشاها، فيصفيها ويستمد منها صورته، إنما هي مواطن للحياة، تطوف بها وتجري عندها قصص وحكايات وتتجلى لديها خفايا نفسية وخبرات، كما أن للورود سننه التي أقرها المجتمع البدوي وسار عليها.<sup>3</sup>

### ج. السحب:

ومن السحاب ما يمتد حتى يغطي السماء كثيفاً متواصلاً لا فرجة فيه، ويتراكب بعضه على بعض حتى يخيل للناظر إليه أنه يتطلع إلى جبال شامخة القمم تجللت بالبياض تارة، وبالسواد أخرى، وهذا السحاب المتراكم ممطر عادة، فهو يدوم فوق المكان ويسقيه بوابل غزير من مائه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نفس المرجع، سعدي ضناوي، ص42.

<sup>2</sup> ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1960، ص40.

<sup>3</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص50.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، سعد ضناوي، ص50.

### د. الجاهلي والسحب:

مرور السحاب في سماء الصحراء حدث مهم لأنه يحمل "الغيث"، والحياة. والبرق يبشر بقرب المطر، وشوق البدوي إلى الخصب يتجمع كله حيث يرى برقاً، فيأخذ بالتأمل والترقب وبناء الآمال البعيدة عليه، والشاعر الجاهلي يحتفل بذلك، يدعو أصدقائه إلى الاحتفال، ولا يترك الفرصة تفوته ولا أي عائق في الدنيا يسلبه لذة تلك الرؤيا، فهو يببالغ في وصف اتصال السحب وتكاتفها.<sup>1</sup>

### هـ. الأمطار:

وأكثر ما يتعرض الشاعر لوصفها أثناء حديثه عن الطلل وما أصابه من خير، وأثناء وصفه للثور الوحشي فيجعل وابلاً يفاجئه فلا يعرف أين المفر حتى يدفن رأسه في أصل شجرة أو خلف هضبة من الرمال، ومع هذا فإن الشعر الجاهلي تعرض لوصف المطر وصفاً هو غرض لذاته لا دافع له ولا هدف سوى ما شعر به قائله من لذة لرأياه.<sup>2</sup>

### و. المطر:

إن الطبيعة كالأنثى تريد الزينة رونقها وتضفي عليها الرقة جمالا، وهي تعرف دائماً أن تكون مغناجيا، حتى فوق رمال الصحراء، لئن كان دلالتها هناك بدويا سانجا يكتفي بتردي إكليل من الخضرة تزيينه بعض الأعشاب فإنه، بلا شك يأخذ بمجامع القلوب. وأهم دور للمطر هو تحرير الأرض من غشاء الملوحة الذي يكسوها وغسلها بالماء الغزير وكل ما فيها ينشط إلى الحياة.<sup>3</sup>

ويقول طرفة بن العبد واصفا الربيع الخصب الذي علم المرتفع والمنحدر:

لعبت، بعدي، السيول به      وجرى في ريق رهمه  
فالكثيب معشب أنف      فتناهبه فمرتكمه<sup>4</sup>

### رابعاً: حول العطش والسقيا

إن الشرب عملية عادية، ولكنه متعة ويسبب لذة إذا سبقه عطش شديد، ولقد عطشت الصحراء بل ما فيها فرمضت رمالها وسال لواب الشمس من فضائها، وتملمت أفاعيها،

<sup>1</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص 54-56.

<sup>2</sup> انظر إلى فصل الطلال.

<sup>3</sup> هنري لمنس، ص 149.

<sup>4</sup> ديوان طرفة بن العبد، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1961، ص 84.

وصرّت جنادبها وشويت مهاها، وصلّت حنايا القطا حتى إذا وصلت إلى مورد تهالكت وقد نفذت منها قوة التجلد، والصبر التي جعلتها تطير الأيام والليالي على أمل الورود، ولعله لا شيء يمثل قيمة الماء للعطشان كأبيات الشنفري يصف القطا تتساقط على الماء متهافتة تسبقها أذقانها وحواصلها إليه، فولّد العطش عند البدوي عقدة نفسية راحت ملامحها تتجلى في الكثير من أقواله وأفعاله، فهو كابوس الصحراء المخيف فيشكل خطرا لا يستطيع له الإنسان دفعا، فلا طالما اقتتلوا البدو على الماء، والمنتصر هو الذي يأتي إلى الماء، يقوله طرفة بن العبد:

إذا ابتدر القوم السلاح وجدنتي كنيعا إذا بُلّت بقائمه يدي<sup>1</sup>

#### خامسا: النبات

الصحراء تعبير نباتي، تعني افتقار الإقليم للحياة النباتية والحيوانية، وليس معنى هذا الفقر التام، فلا شك في أن هناك حياة نباتية وحيوانية في الصحراء. ولكن النبات ليس من الغنى والتنوع بحيث يكون غطاء نباتيا. وهو لا يتعدى الأنواع الصبارية والشوكية والأعشاب الخشنة المتناثرة والنباتات التي تتحمل الجفاف، فهي تتوزع في بطون الأودية، أما فيما عدا ذلك فلا تقوم حياة نباتية أو حيوانية إلا حول عيون الماء والآبار أو المياه الجارية.<sup>2</sup>

#### 1. النبات في الشعر الجاهلي:

إن النبات على أنواعه، حفل به الشعر العربي سواء منه المخضر اليانع أو الحمضي والشوكي، ولقد عني الجاهلي بذكر الفوائد التي يجنيها من بعض النباتات، كما عني بوصف بعضها الآخر، وصف المتأمل المعجب، ولعل أكثر ما ورد فيه الكلام على النبات هو الحديث عن الحيوان والأوابد، فأول صورة حقيقية لحياة الصحراء هي صورة الهودج تتهادى على الرمال، إذ ترمز للتنقل الدائم الذي ألفه البدوي. والواقف على مرتفع يراقب القافلة تبتعد رويدا رويدا خلف الكثبان ترسم في خياله صورة الأشجار الضخمة تزحف وتبتعد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ديوان طرفة بن العبد، المرجع السابق، ص38.

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص70.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص71.

## 2. النبات في استعمال البدوي:

- أ. **مأكّل - التمر:** التمر إلى جانب لبن الإبل، يكوّن وجبة العائلات الغنية في الصحراء، والتمر مع لحم الإبل، يكوّنان كل ما في غذاء البدوي من مواد صلبة.<sup>1</sup>
- ب. **صباغ ودباغة:** الورد، وهو نبات كالسمم، يصبغ به ولونه كالزعفران، بصفرته تشبه أشعة الشمس المتألّئة على رمال الصحراء في قفر موحش، بينما يستعمل الشث للدباغة.<sup>2</sup>
- ج. **وقود:** تصلح أشجار البادية وقوداً فتعطي ناراً قوية ويكون ذلك في الفضا ذي الخشب الصلب.<sup>3</sup>
- د. **أدوات:** كان البدوي يحاول أن يجعل نفسه زادا إذا اجتمع على لحم من صيد كثير، فينضجه ويغمسه بالملح ويتركه يجف على صحائف من ورق الغار. ويستعمل السواك المقطوع من شجر الأراك الخوار العود لتنظيف الأسنان، ويستخدم شجر العرعر الضخم في صنع السقائف، وهي الألواح العريضة التي تسقف بها الخيمة. وهكذا كان الشاعر الجاهلي شديد التأثر بالطبيعة والإفادة من مواردها الضئيلة التي تقدّمها له.<sup>4</sup>

## سادساً: الحيوان

وهو الآخر، يخضع لقانون التطور في خط حفظ النوع، القانون الذي يجعل الأنواع تنقرض إذا لم تستطع التكيف مع البيئة.

وفي براري الصحراء تكثر الحيوانات الوحشية، ويمتاز حيوان الصحراء بأنه إمّا سريع العدو وإمّا صبور على الجوع والعطش لكنه إذا طعم أكل حتى شبع وشرب حتى روي ويخترن طعامه، مثل الجمل الذي يخترن شحمه في سنامه.

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص76.

<sup>2</sup> عروة بن الورد (المجاني الحديثة ج1، ص23).

نطاعن عنها أول الخيل بالقنا وبيض خفاف في ذات لون مشهّر

فيومها على غارات نجد وأهلها ويوما بأرض ذات شث وعرعر

<sup>3</sup> أوس بن حجر يصف السهام (الوصف في الشعر العربي ص295).

تخيّر أنضاءا وركب أنصلا كجمر الفضا في يوم ريح تزيلا

<sup>4</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، بتصرف، ص78.

## 1 -أنواع الحيوان وتجمّعه:

هناك من يعيش منفردا أو في جماعات قليلة كالأسود والذئاب والضبع، وهي الوحوش المستقرة في أماكنها إجمالاً.

وهناك حيوانات تعيش جماعات، وتلك هي الأوبد التي تغتذي بالأعشاب وتضطرها ظروف المناخ من جذب وجفاف إلى الانتقال من مرعى إلى آخر. وهي تشكا قطعانا كبيرة كبقر الوحش والضباء وحمار الوحش.<sup>1</sup>

## 2 -حيوان الصحراء في الشعر الجاهلي:

كان الشاعر الجاهلي على احتكاك دائم بحيوان الصحراء تما كاحتكاكه بالناس، فالحيوان كان بالنسبة له إليه مصدر وحي أشد غزارة وأقرب إلى نفسه.

فالجمل بالنسبة إلى البدوي، أعظم الحيوانات نفعاً، لولاه لما كانت البادية صالحة للسكن، فالجمل هو الذي يغذي الإنسان، وهو أداة انتقاله، وهو الذي يتبادل السلع بواسطته، وهو وحدة قياس لمهر العروس، ودية القتيل، وأرباح الميسر وغني السيد.<sup>2</sup>

وقد التقط البدوي ملامح للجمل كانت له وسيلة تعبير مادي عن أفكاره، ومن الصور التي يوحى بها اسم الجمل، صورة الشاة التي التوى عرق في ساقها أو فخذها، فهي تمشي خطلانة، والشاعر يشبه بمشيتها، سير الحانق المغتاض، وذات البو توحى بمعنى نفسي عميق فهي ناقة ذبح ولدها أو مات وحشي لها جلده فهي تهفو إليه وتخاف عليه وتدرّ لبنها وبكلئها للجلد المسلوخ عنه، اليابس المشقق، يعبر عن لوعة من يفقد عزيزاً ثم يمتسك ببقايا لا تغني شيئاً محاولة ارفض التسليم بالخبر المفجع.

لقد تحدثنا بقليل من التفاصيل عن الجمل لما كان له من تعلق مباشر بالعربي وبشعره، فقلد حفلات الصحراء بسائر الحيوانات قد تكلم عنها الجاهلي، ولعلّ أهم حيوان بعد الجمل بالنسبة إلى البدوي، هو الفرس، ولقد عرف لهذا الحيوان قيمة خاصة، فهو لسرعته وسيلته للدفاع عن العائلة أو النجدة أو للهجوم، أو للهرب إذا وقع في أزمة، لذا فإنّه فضّله على الأولاد والزوجة.

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص80، بتصرف.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص81-83 - بتصرف.

وللكلاب قيمة عند البدوي، فهي تنبج لتنبهه إلى قدوم العدو والغريب، فهي كذلك عون له على صيده ولقد أكثر من وضعها في هذا العمل.

كما أن ذكر الحمار الوحشي والثور والنعامة ووصف الذئب، كل هذه الحيوانات كانت وسيلة للوصول إلى بيان سرعة الناقة أو الفرس.

لذلك فإننا نكتفي بهذا القدر من الحديث عن الحيوان، مذكّرين أن البدوي لا يني يستقي من الطبيعة نماذج لفنّه، ووحيا لمعانيه، حتى حفل شعره بمظاهرها ومعانيها ولوحاتها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص84-92- بتصرف.

الفصل التالي

صفات البدوي في ترحاله

الإنسان يخضع للمؤثرات نفسها، ونجد لها في تكوينه أصداء شبيهة بم نجه همد الحيوان والنبات، إلا أنه ليس مثلها مجموعة غرائز وأعمال آلية: إنه يتلاءم مع البيئة، يحاول جاهدا أن يغير ما يستطيعه في ظروفه لجعله مناسبا لطاقاته، وليؤمن أكبر قسط من الراحة.<sup>1</sup>

### أولا: صفات عامة

يقول النعمان المفاخر العرب على غيرهم من الشعوب:

فأما عزها ومنعتها، فإنها لم تزل مجاورة لأبائك الذين دوّخوا البلاد ووحدوا الملك وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع ولا ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر...

- وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضله في ذلك على غيرهم من الهند

المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة...

- وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آبائها وأصولها وكثيرا من

أولها حتى أن أحدهم ليسأل عن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه.

- وأما حكمة ألسنتهم، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم، ورونق كلامهم وحسنه

وزنة قوافيه.

- وأما دينها وشريعته، فإنهم يتمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم

أشعرا حرما وبلدا وبلدا وبيتا محجوبا ينسكون فيه مناسكهم...<sup>2</sup>

### ثانيا: التفصيل في صفات البدوي

إذا حاولنا أن نتلمس أهم الصفات الضرورية للبدوي في عمله اليومي وحياته، فقد امتاز بالضمور وخفة الحركة، وفي هذا النوع تكون الغلبة للإسراع وقد امتدح الجاهليون الخفة والنشاط وفخروا بضمور الجسد وقلة اللحم كما افتخروا بقوة الساعد واحتقروا كثرة الشحم لأنه دليل على التقاعس والجبن.

واتصف كذلك بالخشونة وجفاء الطبع وهي صفة أكثر الأعراب المتبدين الذين ينفرون من الحضر ويبتعدون عنه طالما تن ذلك بإمكانهم حتى تكاد تنقطع الروابط بينهم

<sup>1</sup> كارل نال لنو، تاريخ الآداب العربية، ج1، دار المعارف، [د.ط.]، 1954، ص93.

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص94-95.

وبين عالم الآخرين، وقد ذكرهم القرآن وأشار إلى جفاء طبيعهم وانغلابهم على الأفكار الجديدة في كثير من آياته: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}<sup>1</sup>

كما تميز بتناقض الطباع والتطرف وكذا القوة، وهذه الأخيرة قد أصبحت مثلا أعلى تصب عنده كل تصرفاته، وتتبع منه كل فضائله، ذلك أن الحياة عسيرة شاقة والإنسان يواجه الطبيعة في كل لحظة بجميع أخطارها وتقلباتها.

كما أن عقدة القوة قد سيطرت على ذهن البدوي وعلى نفسيته وقادته إلى التطرق في كثير من تصرفاته ومثله، ولإعجابهم بالقوة أعجبوا بالشجاعة لأن الشجاع قوي القلب ثابت الجنان، شديد الثقة بقدرته وطاقته والشجاعة سمة لسكان الصحراء.<sup>2</sup>

كما توفرت العاطفة وهناك من تطرقت فيه، فما هي سوى استجابات نفسية لمؤثرات هي في الأصل خارجية وللبيئة أثر في طابع عواطف الشعوب بين الهدوء والبرودة، والتوفز والعنف.

كما اتسموا بقوة الملاحظة والذكاء وذلك بسبب الحياة في الصحراء بالتنقل بين مفاوزها وقفارها سعيا وراء ماء وكلاً، أو طلبا لبعير شرد أو تتبعا لأثر عدو هرب. كما انه اتصف بالبدائية والبداءة باعتبارها جنسا من أجناس البشر لا يزال على حالته إلى اليوم، كما كان بالأمس، وكما سيكون بالغد، بحيث أن نمط ثقافته لا يتغير أبداً، فهو يعيش كما عاش أجداده.

ومن صفاته أيضا العصبية والتمسك بالنسب، فالانتساب إحدى ضرورات الحياة، يعرف المرء على أقربائه ويعرفهم عليه، ثم صار مجالا للفخر بشرف الأصل ونقاء الدم. وقد اتصف البدوي بحبه لصحرائه وعلى تفضيل حياة التنقل والأخطار فيها وكره الاستكانة وما يتبعها من أعمال الزراعة والصناعة.<sup>3</sup>

### ثالثا: حياة التنقل (حياة لرعي المتقلقلة)

الصحراء التي يعيش فيها البدوي ضيقة الموارد، وساكنها بحاجة دائمة إلى المسير من مرعى إلى مرعى ومن بلد إلى آخر بسبب الجوع والعطش أو ضرورة من إنسان أو

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية، 97.

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 96-119- بتصرف.

<sup>3</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 120-137، بتصرف.

شيء، وهذا التنقل سبب الفراق بين الأقارب وبين الأحباب، حتى إذا انتشروا في البلاد البعيدة عاد السفر يجمع الشمل ويشد خيوط المحبة.

إن الثروة الوحيدة في الصحراء هي الماشية، فالسهول القاحلة تحول دون نمو الثروة الإنتاجية، فيما عاد قطعان الغنم والإبل، بل إنها تحدّ من نموّ هذه القطعان نفسها، نظراً لقلّة ما تقدّمه لها مراعيها من غذاء، وهكذا انحصرت حياة البدو، دون تدخّل منهم، في الرعي، ما دامت الموارد الطبيعية التي لديهم قد حصرت ثروتهم في هذه القطعان.<sup>1</sup> والإبل هي أقدر المواشي على تحمل حياة الجفاف وعلى الصبر والعطش والجوع<sup>2</sup>، فحين تجفّ الأرض وتيبس المراعي ولا تعود تكفي لسد الحاجة، يتطلّع البدوي إلى السماء منتظراً الفرج، إلا أنّ الغيوم قد تمر به دون أن يصيب منها وطره، فييمّم وجهتها ويعيّن مكان هبوطها ثم يشرع في محاولة الوصول إليه.<sup>3</sup>

#### - الحروب والغزوات

ولها أسباب اجتماعية ونفسية واقتصادية:

أما السبب الاجتماعي فينتج عن طلب الثأر حين لا يكتفي الموتور بقتل الواتر وفي هذه الحالة تشعل نار الحرب. ومن الأسباب النفسية ترتبط بعقدة القوة وشدة التوفّر اللتين تطبعان شخصية البدوي، فيكون ظلم وإبء الظلم، ويثير التحقير تعلقاً بالكرامة وأنفة من الخضوع. أما الدوافع الاقتصادية فكانت بسبب الفقر، مما جعلهم يتنازعون من أجل البقاء على أرض قليلة الخيرات نادرة العطاء، والتنازع على الحدود بين قبيلتين متجاورتين سبب تضخم العدد والعجز عن سدّ موارد الطبيعة فتوسع القبيلة حدودها فتكون مناوشات تافهة تنتهي بحروب طاحنة يسجلها الشعراء.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، مصر، [د.ط.]، 1959، ص138.

<sup>2</sup> حتي وجبور، تاريخ العرب مطول، دار الكشاف، [د.ط.]، 1958، ص26.

<sup>3</sup> هنري لمنس، ص21.

<sup>4</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، 131-135، بتصرف.

## رابعاً: النزوح والضعن

### - النزوح:

ونقصد به ترك الديار نهائياً غير عودة بسبب سوء تفاهم بين سكانها أو ملل لنوعية الحياة أو حروب.<sup>1</sup>

### 1 -النزوح الجماعي:

الحركة الكبرى فيه نزوح من الحواضر إلى البادية أو أطرافها، كالقناتين أو عرب الجنوب الذين نزحوا من مراكز الحضارة في اليمن، وذلك إثر تبدد تلك الحضارة تحت تأثير عوامل طبيعية وإنسانية واجتماعية واقتصادية.

### 2 -النزوح الفردي: وله أسباب متعددة

أ - **النقمة والتبرم:** يترك الفرد عشيرته وقومه لأنه يتخلى عنهم أو لأنهم يتخلون عنه.  
ب - **الخلع:** وهو مظهر كثير الانتشار وقد ساهم في نشره ما كان عليه أساس النظام في مجتمعهم من العصبية، وهذه الأخيرة هي من تمنح الفرد قوة الاستمرار في الحياة وتحميه من الاعتداء عليه.<sup>2</sup>

### - الضعن

فالضعن هو سفر لفترة من الزمن ينتهي بانتهائها ويعود المسافر بعد ذلك إلى موطنه الأول، والضعن هو الآخر يكون جماعياً وفردياً.

### 1 -الضعن الجماعي:

هو انتقال العشيرة أو القبيلة برمتها من مكان إلى آخر لأحد هدفين: الانتجاع أو الغزو، فيقول الأزهري: «المحضر عند العرب المرجع إلى إعداد المياه، والمنتجع: المذهن في طال الكلاً، وكل منتجع مبدى».<sup>3</sup>

### 2 -الضعن الفردي:

وهو أن يترك الفرد قبيلة لفترة تطول أو تقصر، إنما يعود في نهايتها إلى أهله وقومه، وتختلف نوعية هذه الأسفار مع نوعية الدوافع إليها وأبرزها: طال الثأر، وطلب الغنى، فطلب الثأر سبب اجتماعي مهم للضعن الفردي فهو يعتبر سنة في مجتمع الصحراء

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، سعد ضناوي، ص135-139.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب.

بسبب ارتكاب جريمة لها تقيم حدود الثأر. أما طلب الغنى فيكون بسبب الفقر في كل شيء في موارد الطبيعة وفي وسائل الراحة والرفاهية والمشاريع الكبرى وما إلى ذلك. ولعل أبيات حاتم الطائي أجمل ما يتمثل به في هذا المكان، ففيها العطاء وفيها التقلب بين الغنى والفقر وفيها تواضع المتمكّن وكرامة المقصّر.

غنيا زمانا بالتصعلك والغنى وكل سقناه بكاسيهما الدهر

فما زادنا بأوا على ذي قرابة غنانا، ولا أزري بأحلامنا الفقر<sup>1</sup>

وهكذا، فإن الدهر لا يعطي لا يعطي إلا ليأخذ، وبيننا ترى السيّد مطاعا أمرا ناهيا، يعطي فيغدق ويستبعد النفوس، تراه فجأة في الحضيض مع السوقة، فتبًا لهذه الدنيا لا تقرّ على قرار.

التصعلك هو عمل الصعلكة من قبل هاو لا محترف، ولفترة محدودة، فإذا ما أصاب

غنى، عاد سيرته الأولى إنسانا محترما، سيّدا في قومه كريما مع الآخرين.

وأشهر من تصعلك من أسياد العرب حاتم الطائي، الذي كان يهب أمواله وقد يرهن

نفسه من أجل الضيف.<sup>2</sup>

بسبب هذا كله اعتقد البدوي أن الخير في السفر، وأن الخيل معقود بنواصيها الخير

وأن من طلب الغنى عليه أن يسعى في الأرض والسفر سبيله الوحيد.

<sup>1</sup> حاتم الطائي (العقد الفريد، ج1، ص29)، و(المجاني الحديثة، ج1، ص303)، والشعراء والفرسان، ص103.

<sup>2</sup> راجع بيتي، حاتم الطائي، ص159.

# الفصل الثالث

## مراحل أسفار البدوي

**أولاً: السفر مثل أعلى**

أصبح الانتقال فضيلة معترف بها ورمزا لعلو الهمة وكبر النفس، إذ لا ترضى بالقليل وإذ تضع نصب عين العربي مشاريع كبيرة لأعمال ضخمة رائعة. ويجعل امرؤ القيس السفر إحدى الخلات الأربع التي يفخر بالانصراف إليها مع اللهو والصيد وشمّ الغادة الحسنة، ركوب الإبل وسوقها متنقلا من قفر إلى قرية. ومدح الشعراء كذلك السير الطويل واتخذوه دليلا على بعد الهمة والقدرة على الجلد وتحمل المشقات التي تهزل الإبل وتحفي أخفافها، يقول امرؤ القيس:

ومنهنّ نصّ العيس والليل شامل ينمن مجهولا من الأرض بلقها  
خارج من برية نحو قرية يجددن وصلا أو يرجين مطعما<sup>1</sup>

**ثانياً: مع البدوي في أسفاره****1 - الطريق:**

لم يكن في الصحراء الرملية طرقا، إنما على أطرافها وعلى القفار الصخرية أو الرسوبية تتالى الإقدام والأخفاف على درب معيّن فتعبده لكثرة استعماله ويظهر واضحا لاختلافه عن سائر الأرض التي لم تدس، وقد يطول الطريق ويمتد إلى الأفق البعيد في مساحات شاسعة، فيحاول البدوي جهده السير على الطريق الواضح، فيسوق ناقته ويقسو عليها مكثفا إيّاها سير الهاجرة.<sup>2</sup>

ومن أنواع الطرق يوجد الواسعة العريضة وهي التي يسير عليها الكثير من الناس، وهناك الضيقة ويكون اجتيازها تجربة صعبة وتسمى المأزق وهناك أيضا الطرق المستوية وهي الديموم، أما العروض وهي طريق في عرض الجبل، ترمز إلى القوة والمنعة.<sup>3</sup>

**2 - المفاوز القفار:**

أ - ميدان فخر: لم يكن البدوي يسافر دائما على طريق واضح ظاهر محدود المعالم، لذا كان يهدف هذه المغامرات من باب الفخر بالنفس، بقوة الجسد وقوة القلب. ونستطيع أن نقسم سكان الصحراء إلى فئتين: إحداهما اعتدت المخاطر وتمرّست

<sup>1</sup> حسن السندي، شرح ديوان امرؤ القيس، المكتبة التجارية الكبرى، [د.ط.]، 1959، ص130.

<sup>2</sup> مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، ط2، 1948، ص320.

تتبع أفياء الظلال عشية على طرق كأنهنّ سبوب

<sup>3</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص167-168، بتصرف

بها، والثانية هابتها وابتعدت عنها.

**ب صور ومشاعر:**

**- الدويّة:**

هي الفلاة المقفرة تتردد فيها الأصدااء وتدوي الأصوات والدوية يطول عهدا بالناس وبالماء ويغبر لونها، تتمايل فيها الإبل مع كل ما عرفت به من صبر على الجوع والعطش.

**- التّنوفة:**

يجتازها البدوي إكراما لعيون محبوبته، فيدلّ عليها ويذكرها بالهول الذي جشمه وبما يستحقه بذلك من التفاتها إليه واهتمامها به.

**- الخرق:**

وهو الآخر يعترض سيره إلى محبوبته، فيدلّ عليها باجتيازه ويفخر.

**- الديمومة:**

الأرض الواسعة كأنما سميت بذلك لأن السراب يدوم فيها فيكون اجتيازها عملا بطوليا ومفخرة.

**- اليهماء:**

وهي رمز للثيّه ومأوى للجن تقيم فيه حفلات وأعراشا، وتسمع أصواتا غريبة مترددة في جوانبها.<sup>1</sup>

**ثالثا: المصاعب والأخطار**

غدا السفر مثلا أعلى في عالم الصحراء نظرا للمصاعب التي يجشمها الإنسان والأخطار التي يتعرض لها في كل رحلة وسفر منها ما هو خارجي ومنها ما هو داخلي.

**1 طبيعة الأرض:**

الأرض السهلة الخالية من الحصى والحجارة والرمل، حيث يحلو الخبب، ويجمل السير والنزول، فهي نادرة تكون في الأودية والأرياف يتغنى بها البدوي. أما أكثر السير في الصحراء يكون على أرض صلبة حيناً ولينة حيناً آخر، وفي كلتا الحالتين تمتنع عليه وتعصاه.

<sup>1</sup>سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص169-174.

ومنها الأمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى يصعب السير عليه ومن الصمّان الصلب الذي يلقي المسافرون صعوبات في اجتيازه فيتنقلون إلى الوعاء اللينة فتغوص أقدامهم في رمالها وتكون رحلتهم في غاية المشقة.<sup>1</sup>

## 2 - الليل والنعاس:

يكثر الشاعر الجاهلي في وصف الليالي المعتمة ويتفنن في عرض ما يبذله من جهد في متابعة السير حينذاك.<sup>2</sup>

## 3 - الادلاج والتهجير:

الادلاج والتهجير يتساويان، أو يكادان، مشقة وجهداً، ونرى البدوي لا يذكر أحدهما مفاخراً حتى يتوصل إلى الآخر، كما يرتبط الادلاج بمعاني الخوف، يرتبط التهجير بمعاني الحر، والمشقة.<sup>3</sup>

## 4 - التعب والعطش والماء الآسن:

السير الطويل والمتواصل على أرض صلبة أو رملية يضني المطايا ويحفي نعالتها ويضني الجسد ويهزله، وذلك لتعرض المسافر للحرمان وتحمل المشاق وتقلبات الجو.

## 5 - السراب والآل:

وهو تجربة قاسية يكون الفشل فيها رفيقاً دائماً، والسراب مقبرة للأمال المتجددة وفيه إذا كان لنار العطش المتوقدة في الجوف بنار متألئة براقه ساخرة، أما الآمال فهو السراب في أول النهار وفي آخره.<sup>4</sup>

## 6 - التّيه:

وهو يعود في الأكثر إلى فقدان المعالم التي تعرف بها الطريق أو غياب النجوم التي

<sup>1</sup> ديوان طرفة بن العبد، ص 60.

حماد بها البسباس يرهص معزها بنات اللبون والسلاقمة الحمرا

<sup>2</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، 178-179، بتصرف.

<sup>3</sup> الأعشى، الديوان، ص 163.

ويهماء تعزف جنانها مناهلها آحنات سدم

وإدلاج ليل على خيفة وهاجرة حرّها يحتدم

<sup>4</sup> فؤاد أفرام البستاني، المجاني الحديثة، منشورات الآداب الشرقية، [د.ط.]، 1946، ص 190.

ومن ذرى علم ناء مسافته كأنه في حباب الماء مغموس

يستدل بها على الاتجاه ليلاً.<sup>1</sup>

## 7 -حوادث المطايا:

### - بلي الاخفاف:

وذلك بسبب صمود الناقة لما تحمله من حمل أكثر مما تستطيع فيعوضها صاحبها نعالا من جلد لا تلبث أن تبلى هي الأخرى وتشد الأنساع على صدرها تاركة آثار واضحة فتتألم بصمت وتشكو إلى صاحبها بتوجع.

### - الودائع:

الإبل الضعيفة تعيا وتسقط في بعض الطريق بسبب ما يطلبه منها البدوي في سفر طويل متواصل.

- السأم والهزال حيث تعيا من السرى ويضنيها سير الهاجرة.<sup>2</sup>

## 8 -الخوف والوحشة:

الخوف يعتري الإنسان في الأماكن المقفرة، لذا كان الفخر بالجرأة على هذه المواضيع كثيرا في أشعار الجاهليين وكان الخوف بسبب الحيوان، الغول الوهم، الجن، واللصوص والأعداء وهو كل ما يتعرض له البدوي في أسفاره.<sup>3</sup>

### رابعا: من ملامح السفر

#### 1 -عجلة من الأمر:

الشعراء الجاهليون أكثروا من الحديث عن النشاط والهمة وتخطي الصعاب كما ذموا الكسل والتراخي، فكانوا يحسّون بالتقصير لذا يحاول صاحبه أن يستره ببعض من الخيال عن مغامرات وحوادثها، وحين يتهيأ للبدوي ترك الديار يتصور نفسه مشغولا منهمكا، وهو لا يتوانى عن ذكر عجلته من أمره وضيق وقته في الانتظار.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> علقمة بن عبدة (مختار الشعر الجاهلي، ص420).

إليك، أبييت، كان وجيفها بمشبهات هو لهن مهيب

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص187-189، بتصرف.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، سعدي ضناوي، ص189.

<sup>4</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص193.

**2 فترة راحة:**

على رغم العجلة التي هي طابع السفر في الصحراء، فإن المسافر يتوقف بين حين وآخر، إما من أجل الأكل، أو علاج ثقب في خف ناقته أو النوم.

**3 لقاء المسافرين:**

وأكثر ما يكون حول مورد ماء، وقد يجتمع خلق كثير من مختلف القبائل.

**4 وسيلة ترفيه:**

وكوب الراحة في سير طويل، يتعب الجسم، فيتخذ المسافر احتياطاته لتأمين راحته وهو على ظهر بعيره، فيختار رحلا لينا ويلقي بجانبه وسادة تخفف عنه صدمات السير.<sup>1</sup>

**خامسا: النزول (اختيار الأرض)**

قد أرهفت حياة الطواف، عند العرب الدائمين الأسفار، قوة الملاحظة إلى درجة مذهلة واجتذبت الأرض انتباههم فأشاروا بعناية كبيرة إلى أقل نقى فيها ولمحوا ما لا يكاد يرى من تضاريسها.<sup>2</sup>

**1- الأرض الغليظة:**

وعليها يدق أوتاد خبائه ويحتفر حوضه، ويخط نأيه فيكون بمعزل عن السيل ويبقى خبأؤه أرسى في وجه الرياح.<sup>3</sup>

**2- الأرض المطمئنة:**

وهي تتسع أحيانا حتى تستوعب الحي الكثير العدد، أما إذا احتوت ماء غزيرا فإن قبائل كثيرة تنزل فيها.

**3- الأراضي المرتفعة والأودية:**

هي من جهة منيعة للأعداد ومن جهة أخرى ظاهرة بارزة للعيان.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، المرجع السابق، ص195-197.

<sup>2</sup> هنري لمنس، ص12.

<sup>3</sup> زهير بن أبي سلمى (الديوان شرح الشمنتري، ص2).

<sup>4</sup> أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتنلم سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص200-201.

سادسا: على هامش النزول

### 1 - الفارط:

يسبق القوم في السفر فيتقدمهم ليصلح الموضع الذين ينوون النزول فيه.

### 2 - عصا الترحال وعصي الحاضر:

عصا الترحال وهو دليل السير، وهي العصا التي يحملها هادي القوم في المفاوز، فتبقى في قبضته، حتى إذا عزموا على النزول فيلقونها فتوقف الرحيل ويشرع القوم في نصب الخيام.

### 3 - الماء:

عنصر أساسي في اختيار موضع النزول، وإذ يعثر البدوي على ماء لم يسبقه إليه إنسان تكون له الأولوية في وروه.

### 4 - الربينة:

وهو الذي يوكل إليه القوم أمر مراقبة الطرف من قريب ومن بعيد خوفا من المفاجآت.<sup>1</sup>

### سادسا: الديار

تنقل العربي الدائم فوق صحرائه له منطلق ثابت محدود، فيتوقف عند اختفاء العشب والكلأ، ويعود البدو حينذاك إلى أماكنهم التي انطلقوا منها وهي ديارهم، وديار القبائل من أهل الوبر فتكون عادة في الوديان أو على حدود البادية أو في مرتفعات وجبال منيعة، واختيار موقع الديار يجب أن يلبي حاجة الإنسان والحيوان وضرورات الأمن والحماية، وقد حفلت أشعار الجاهليين بذكر مواضع ديارهم، وتلك المواضع تكثر وتقل مع كل نتوء في الأرض أو انخفاض يتميز عما سواه.<sup>2</sup>

### ثامنا: توقيت الرحيل والتهيؤ له

حين ينزل القوم في ديارهم يبقون هناك طالما وفرت الأرض عسبا كافيا لقطعانهم، إلا أن عمر الكلأ في الصحراء قصير، فيتفق القوم فيما بينهم على يوم الرحيل، ويبتتون أمرهم ليلا فيهيئون الجمال ويحملون عليها الأمتعة، ويستيقظ النهار على قبيلة شرعت في

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص203-204.

<sup>2</sup> الألويسي، بلوغ الأدب، ج3، المطبعة الرحمانية، [د.ط.]، [د.ت.]، ص434.

المسير تلتصق في طريقها الهوادج، فينزلون إلى بئر أو فيء يستظلون به ويخلفون وراءهم أرضاً عارية.<sup>1</sup>

### تاسعا: ساعة الرحيل

يكون هناك فوضى يغرق في بحرها الرجال العاملون، بينما تكون النساء المحصنات أقل الجميع عملاً فهن ينتظرن أن يهياً لهن كل شيء ثم يحملن على الهوادج ويلقن فيما بين هذا وذاك سهام الألباح تستبي القلوب الضعيفة.<sup>2</sup>

- الألم والبكاء بسبب انقطاع لكل ما في الوصل من حلاوة وما في آمال اللقاء في نشوة.

- تلقّت إلى الورااء وهو شأن المسافر الذي يرتحل على رغبه.

- منظر الطعانن والتي عني الشعراء الجاهليون بوصفهم أكثر من عنايتهم بمظهر آخر من مظاهر الرحيل (مراكب النساء، سير الجمال).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص207-208، بتصريف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص208، بتصريف.

<sup>3</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص209-216، بتصريف.

الفصل الرابع

الإطلال

عرفنا حياة البادية قليلة الاستقرار دائمة الحل والترحال، والقبيلة في انتقالها الدائم تخلف وراءها في ديارها أو في منتجعاتها آثارا أو أشياء تافهة، كل هذا أدى إلى أن تكون الآثار المتخلفة مبتذلة لا قيمة مجردة لها، أمام هذه الآثار درج الشعراء على الوقوف على تلك البقايا كانت تسحّ دموعهم.

### أولاً: معالم الطلل

الطلل هو ما شخص من آثار الديار بينما الرسوم تعني ما التصق منها الأرض.<sup>1</sup> لكن كلمة طلل صارت تطلق على جميع ما يخلفه القوم ورائهم بعد تركهم لمكان إقامتهم، وأول بادرة تلفت نظرنا في حديث الشاعر عنه هي محاولة تحديد مكانه على خارطة الجزيرة، وهذه البادرة ناجمة عن إعجاب البدوي بمعرفته للأماكن وما ينسب إليها، كما كان يفخر بمعرفة أنساب القبائل وعاداتها.

فاستقصاء هذه البادرة في أشعار الجاهليين فعمل لا طائل تحته لأنها لا يكاد يتخلص منها شاعر في أية قصيدة، يبدأها بالمطلع التقليدي، وسيظهر ذلك أثناء دراستنا لمختلف نواحي شعر الطلل.<sup>2</sup>

### 1 - منظر عام:

يقف البدوي على الطلل، فلا يبحث الوهلة الأولى عن التفاصيل، ولا ينزل إليه إلى بعد مرحلة من التأمل ومن الشرود أحيانا، تتراءى له الآثار خلالها في أشكال مختلفة وتوحي له صورا متعددة.

### أ - اللون:

وهو أول ما يلفت الانتباه في عالم الصحراء الرتيب المتساوي، حيث يكون التغيير في سطح الأرض، أو في اللون الدائم حدثا لا مفر من ملاحظته والاهتمام به، والبارز في لون الطلل السواد، فيما علق عليه الدخان، والبياض المائل إلى الإصفرار مما يكسو الأرض.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر والحياة، [د.ط.]، [د.ت.]، مادة الطل.

<sup>2</sup> مرار بن منقذ (المفضليات ص124).

هل عرفت الدار أنكرتها بين تيراك فشسي عيقر

<sup>3</sup> شبرين أبي حازم، جمهرة أشعار العرب، ص181.  
لمن الديار غشيتها بالأنعم تبدو معارفها كلون الأرقم

## ب الشكل:

وهو يتبع تلك البقايا التي خلفها القوم ورائهم، منها ما اندثر، ومنها ما ظل بارزا للعيان تغطي بعضه الرمال وتتكشف عن بعضه الآخر، ومنه ما صقلته الأمطار وغسلته السيول... الخ

ولئن كان إجماع الشعراء الجاهليين على وصف الرسوم وتشبيهها بالنقوش والزخارف ينسب إلى باب التقليد، فإننا ننسبه إلى الواقعية، وفكرة الترميق في شعر الطلل، من أبرزها ما تواردت عليه خواطر الشعراء، وهذه تصب في مجريين رئيسيين: صورة الوشم، وصورة الكتابة.<sup>1</sup>

## 2 - أجزاء الطلل:

إن الشاعر الذي يقف بالديار يلتقط بأنظاره أبسط معالمها، وسنتناول هذه المعالم ابتداء من أشدها بروزها حتى نصل إلى أكثرها خفاء.<sup>2</sup>

أ. **بقايا الخيمة:** الخيمة بين تنبيه العرب من عيدان الشجر غير البيت من الشعر الذي يأوى إليه الرجل وأهله.

ب. **الأثافي والرماد:** والأثافي، مع ما يلجأ إليها ويختبئ بينها من بقايا الثمام، تجذب انتباه البدوي وتتعلق بها آماله في تأثر دلائل الإقامة ومعالم الإنس.

ج. **النؤي والأوراي:** النؤي وهو الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا ويبعده والتراب الذي يستخرج منه يقام به حاجز على حافته.

د. **الثمام:** وهو رفيق الدمن، وقيق للأثافي والنؤي، نبت صغير لئلا يطول تسدّ به خصاص البيوت فينزل عنها حين يتحمل أهلها.

ه. **حطب الولائد:** والولائد هنّ الإماء، ومن مهامهنّ التقاط الحطب، للموقد.

و. **فئات العهن:** عملية الرحيل تترك آثارها على صفحة الطلل، وهذه الآثار عبارة عما يتساقط من وبر الخيم أو أطراف الحبال والصوف المصبوغ.

ز. **بعر الأرام:** وهو ليس من آثار الإقامة، ولا آثار الرحيل، إنما هو من آثار الهجر،

<sup>1</sup> المنتخل الهذلي، جمهرة أشعار العرب، ص228.

عرفت بأجدث فنعا ف عرق علامات كتجبير النماط

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص227.

ودليل على ما أصبحت فيه الديار من إقفار، إذ طال عليها، الزمن.<sup>1</sup>

### ثانياً: قصة الظل والطبيعة

#### 1 - عمل الرياح والأمطار:

إذا كانت الأطلال ترتد حلاً منمقة مطرزة فإن الرياح والأمطار هي التي حاكتها، والسيول هي التي نمقتها وطرزتها، فكأن الطبيعة تفرغ إلى الظل بعد أن يهجره ساكنوه. وكم مرت بالديار رياح هوجاء سريعة فحملت معها غيوماً من رمال أشبه بغبار الطحين تثيره عاصفة، هذه الرياح تغدو على الأطلال وتروح. أما المطر فهو سبب خير وهو أيضاً سبب دمار وخراب، فليس من السهل على البدوي أن يعرف الديار بعد أن تغيّر بها الرياح وأمطار الربيع.<sup>2</sup>

#### 2 - تبدّل الأحوال والسكان:

والإقفار، تلاهما المطر والسيول فتحيي موات الأرض، فتخرج منها كنوز الزمرد الأخضر وتنبت الأعشاب الجديدة حتى تلجأ إليها قطعان البقر، هكذا تتغير الأحوال ويتغير السكان.<sup>3</sup>

### ثالثاً: وحي الظل

#### 1 - الوقفة الشعرية:

البدوي الذي يقف بالديار، ليس مجرد متفرج أو باحث إنما هو يغشاها وفي نفسه شؤون وشجون وعواطف تجيش وتصطرع، منها ما هيأته فترة سابقة، ومنها ما أوحته لحظة الوقوف بالذات، إذن هي وقفة شعرية يتجلى فيها الوجدان على المادة الملموسة ويخطر فوق الأرض المقفرة، فتترأى عليها خلجات نفسية بعيدة الغور.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، المرجع السابق، ص228-232.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص133-137، بتصرف.

<sup>3</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص139.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص242.

## 2- حياة التنقل والوقوف على الإطلال:

لفهم حقيقة مشاعر البدوي أمام الطلل، علينا أن نبحث عن جذورها في اللحظات التي تسبق وقوفه هناك، وبالتالي في حياة التنقل، فأطياف الهباب ترافق البدوي المسافر في رحلته ولأجلهم غربته ومن أجل نيل إعجابهم يحقق البطولات والثروات.<sup>1</sup>

## 3- الشك في نسب الطلل:

التنقل الدائم بين الديار تجعل الشاعر يشك في الطلل وصاحبه ويشك في المكان الذي يقف عليه هو نفسه المكان الذي يفترض أن يلمح فيه آثار الأحباب.

## 4- التعرف:

يجد الشاعر صعوبة كبيرة في معرفة الديار والجزم بها خصوصا إذا مرّت سنين طويلة على تركه لها، حينذاك يكون القلب دليلا وهو المشوق إلى اليقين، فيقتنع بدليه ويرخي للواعجه العنان تسرح بين الأطلال.<sup>2</sup>

## 5- استفسار:

منذ أن يخفق القلب بمعرفة الطلل، يصبح منبّها يثير في نفس الشاعر سلسلة من الانفعالات اللاشعورية تنتهي عند الأشخاص الذين يهتم كثيرا لذكراهم ولاستحضارهم في خياله، فتتطلق عواطفه المكبوتة عبر أيام الفراق، يفجر فيضها المنظر الجامد فيتخايل في برد الحياة.. تلك لحظة عامرة بالوجدان.

لذا فإن الطلل في الشعر الجاهلي، يسمو إلى مستوى الرمز الذي يندمج في ما يرمز إليه ويصبح هو والأحباب كلاً واحداً، فسؤال الإطلال غدا تقليدا في الشعر الجاهلي لا يكاد شاعر يجبد عنه، وهو يرمز إلى اللهفة والشوق اللذين يريد البدوي أن يصل خبرهما إلى محبوبته مع قصائده، هنا يبدأ عنثرة بخطاب دار عبلة مناخيا:

ألا يادار عبلة بالطوي كرجع الوشم في رسغ الهدى<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، 243، بتصرف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص246، بتصرف.

<sup>3</sup> عنثرة بن شداد، الديوان (شرح جماعة من الأدباء)، مكتبة الحضارة، دمشق، [د.ط.]، [د.ت.]، 1957، ص147.

**6 تحية وشكوى:**

ويغمر اليقين الشاعر المهموم، ولئن سكت الطل فإن الواقف عليه ينصرف إليه ويلقي فيض حبه وأشواقه، فيحيه برقة وينلمسه بلهفة، ينطلع إليه بعين الوهم، يرى الماضي البعيد من وراء الحاضر القريب.<sup>1</sup>

**7 تأمل:**

مع تحية الطل الأخرى، وفي الصلاة التي ترتفع إليه من أعماق الشاعر، يتجلى نفس إنساني ينفخ في الطلل مشاعر بشرية، تلك هي أحاسيس الشاعر يتلقاها الطلل فيرثي لحاله من خلاله ويفكر بنفسه وبالأقدار، وتتعدّد الفكر وتتشعب طرق الأحلام وتتسلسل الروى أخذاً بعضها برقاب بعض.

**8 ذكريات ونجوى:**

هنا يأخذ الشاعر بالحديث عن ماضي أيامه، عن ساعات السعادة التي قضاها في تلك الديار عن أيام الطفولة أو الشباب التي غرسها بين ربوعها، كل هذا والصور تترى أمام ناظريه فيرى القوم يروحون ويجيئون، ويرى المحبوبة في خبائها ومن ذكرياته ذكرى المحبوبة، وذكرى الحي الجميع، وكذا ذكرى الفراق وساعة الرحيل.<sup>2</sup> فهنا يقف قيس بن الخطيم بديار عمرة ويذكر آخر مرة رآها فيها إذا على جبل منى، وعمرة حينئذ فتاة صغيرة عذراء مسترسلة الغدائر، حتى كان الفراق جاءت به النوق الكريمة السريعة:

ديار التي كانت ونحن على منى      تحلّ بها لولا نجاى النجائب  
ولم أرها غلا ثلاثا على منى      وعهدي بها عذراء ذات ذوائب<sup>3</sup>

**9 تأثر وشكوى:**

مزيج من الأمل واليأس، من الشوق والكآبة، يعصف في حنايا الذات فيحسّ الشاعر برأسه تدور... فيجلس على حجر أو يستند إلى ناقته ويرخى لمشاعره العنان.

<sup>1</sup> عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، ط1، 1946، ص243.

<sup>2</sup> سعدي ضناوي، المرجع السابق، ص149.

<sup>3</sup> أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، المطبعة الرحمانية، [د.ط.]، 1926، ص247.

## 10- بكاء:

بكاء البدوي على الطلال دليل على رقة نفسه، وإن اشتهر بالقساوة والصلابة، إنه يعشق ويُعشق، يهوى ويتبع من يهواها، يقدم جرأته وقوّته عربونا لحبّه ويقدم أيضا شوقه الذي يجعله دائم التفكير في فتاته، يزوره طيفها ويدقّ باب قلبه فيخرج منها ذوبا من الدموع والشعر.

وحين يقف على الأطلال ويشكّ في صحة نسبها إلى من يحب، يبكي في لحظة تعرّفه عليها لأن تأثيره حينذاك يبلغ قيمته.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عنتره بن شداد، الديوان (شرح جماعة من الأدباء)، مكتبة الحضارة، دمشق، [د.ط.]، 1957، ص118.

# الفصل الخامس

## طابع الثُّعْر الجاهلي

طابع الثُّعْر الجاهلي

كانت الصحراء بيئة ذهنية وفنية، ولئن عرفت بضيق مواردها، فقد غذت أجيالا متعاقبة من البدو ولا تزال تغذيهم حتى أيامنا، وقد أمدت الشعراء المصورين بالعديد من اللوحات وبالجميل المتقن من المعاني، وبالمعين الثرّ الموضوعات.

فالصحراء ونوعية الحياة فيها قد ساهمتا في تقوية الإحساس الفني، في الوقت ذاته الذي طبعتا فيه التعبير الفني بمياسم البدائية المادية وضعف المنطق وضيق أفق الخيال.<sup>1</sup>

**1 - البدائية والشعر:**

#### أ - التردد على المعنى الواحد واستنفاده:

وهذا طابع مميز للشعر الجاهلي، ولكل شعر بدائي، وهو احد الأسباب التي جعلت النقاد يسمون الشعر الجاهلي بالتقليد وقلة الابتكار.

فتردد الشاعر نفسه على المعنى بالذات فلعلّه يعود إلى أن الخاطر قد يجول برأسه، أو تمر الفكرة بذهنه، فيلتقطها ويحاول إخراجها بتعبير شعري، والشاعر الجاهلي يحاول دائما أن يكون صادقا في تعبيره ويتوخى أن ينقل تأثره تأثيرا في نفوس السامعين، لذا فإنه يبدأ بتناول المعنى، أو الصورة جزءا جزءا، مستعملا التشابيه الحسية الواضحة.<sup>2</sup>

#### ب - وضوح التشبيهات:

وذلك يعود إلى وضوح الصحراء أمام البدوي وقلة ما فيها من ألغاز، فأفكاره بسيطة لا يعقدها لأنه لم يتعود التعقيد في حياتهن وهو لا يستعمل الرموز لأن حياته كلها صراحة، وأكثر التشبيهات الجاهلية تقوم على أساس ملاحظة صلة مادية أو معنوية بين المشبه والمشبه به.

فالشاعر الجاهلي حين يقارن بين موصوفين تكون في المتناول، لا يحتاج القارئ أو السامع لأي جهد في فهمها. ومما يستدل به ذلك، أبيات عنتره وهو يتأمل فرسه، وقد نزع عنه جلّه، فيجد ظهره مساويا لظهر الوعل الذكر.

وكأنّ متنيه، إذا جرّده  
ونزعت عنه الجُلّ، متنا إيل<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص271، بتصرف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص273.

<sup>3</sup> عنتره بن شداد، الديوان (شرح جماعة من الأدباء)، ص67.

**ج- ضعف التجريد:**

فالتجريد ميزة حضارية تقوم على استخراج قاسم مشترك من تجارب متشابهة، فتغني الكلمة عن رسم الصورة، وتقوم الكتابة الهجائية مقام الكتابة الهيروغليفية، وهذا الضعف في التجريد هو أساس ما نراه في القوائد الجاهلية من توافر الشاعر على معنى واحد بأشكال مختلفة، ويتجلى ضعف التجريد في تنتقض شخصية البدوي ومثله العليا وكذا عدم القدرة على النظر إلى داخل النفس وحقيقة المشاعر بعيدا عن الأسباب والنتائج التي ترتبط بها وبالتالي في التعبير عن الأذكار والأحاسيس بصور رمادية.<sup>1</sup>

**2 -المادية وضعف المنطق:****- المادية:**

وهي رفيقة البدائية تستقي من معينها، فهي تتجلى في الشعر الجاهلي بالبقاء داخل إطار "المحسوس" في الأوصاف والتشابه والصور المادية تكون معبرة بذاتها عن طريق الرمز، وتتجلى مادية الشاعر الجاهلي في عجزه عن الإتيان بالمعنى المجرد بعيدا عن إطاره المحسوس، فإن احد مظاهر المادية المهمة بدائية التعليل، فالجاهلي يرى البادرة ويلتقط اللمحة، فيقبلها كما هي.<sup>2</sup>

**- ضعف المنطق:**

هذه القدرة لا تتولد عند الإنسان إلا بعد تمرّس طويل بالمقابلة والمقارنة، بوزن الممور الأمور، فهي عملية ذهنية معقدة، صعبة لأن الأفكار التي ترد على الذهن يعتدها لقايا ثمينة من اكتشافه فتصبح من ممتلكاته التي يفخر بها ويحافظ عليها، من هنا صعوبة التخلي عنها وضرورة الاقتناع بعدم جدواها.<sup>3</sup>

**أ. العفوية:**

من صفات الشعر الجاهلي، فالفكرة الجزئية لا تخدم الفكرة العامة التي يتوخاها الشاعر، فيكون الاهتمام بأشياء تافهة ووصفها وصفا يخلو من الفن أحيانا.

<sup>1</sup> امرؤ القيس، الديوان، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1958.

<sup>2</sup> المرجع السابق، سعدي ضناوي، ص 287-292، بتصرف.

<sup>3</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص 294.

**ب. الصراحة والتناقض:**

فالصراحة لا تخدم الشاعر في صفاته التي يتمنى أن يتحلى بها ولا تخدم غرضاً من أغراض النظم، وقد يقع في التناقض في ذكره الخوف والاضطراب في معرض الفخر والحماسة.

**ج. الشرود الذهني:**

من أبرز مظاهر ضعف المنطق الفني، ويظهر في التفكير غير الموجّه الذي يجعل العمل الأدبي مفكك الأجزاء، كعناية الشاعر بإخراج الفكرة الطارئة بصرف النظر عن دورها في الكل الفني فينصرف إلى الأداة متناسياً أنها أداة ويولي المشتبه به عناية تتجاوز ما يخصّسه للمشبه.<sup>1</sup>

**د. الاستطراد:**

وهو آية من آيات الشرود الذهني، وهو ذو دلالة على قيمة الوقت إلى سائد الصحراء، بحيث يجب قطع الوقت بعمل يكون مسلياً وإن لم يكن مفيداً كعدّ الجسور الخشبية في سقف الغرفة عكس الأمم المتقدمة حيث يكون للوقت قيمته وتساوي الدقيقة مقداراً من الإنتاج فلا مجال عندها للاستطراد.

**هـ. المبالغة:**

من آثار ضعف المنطق، وتكون عادة في مواضيع الفخر، فخره بقوته وقومه من أسياد وأشراف، يقول قيس بن الخطيم مفتخراً بنفسه واستقباله للموت:

متى يأت هذا الموت لا تلف حاجة      لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وكذا المبالغة في وصف عواطفه من حزن أو محبة أو إعجاب، وتكون المبالغة في مواضيع الرثاء وكذا المسرح أيضاً.<sup>2</sup>

**3 - الإيجاز:**

فهو يتصل بالمادية ووضوح التشبيهات، والإيجاز لا يتنافى مع الاستطراد وشرود الذهن فهو أداء الفكرة الواحدة بأقل عدد ممكن من الألفاظ.

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 298-299.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 301.

**أ. انتقاء الألفاظ وتحميلها المعاني:**

إلى أكثر التعابير في الشعر الجاهلي وليدة الحياة في الصحراء، فالجاهلي هو الذي يرود حول الفكرة ويفصل فيها بعد أن يجمل ويقلبها على وجوهه، يعمد أحيانا إلى اللمحة يستغني بها عن الشرح وإلى الكلمة المتقطعة، ويترك للفطنة تقدير ما يليها.

**ب. استقلال البيت الشعري:**

فهو من مظاهر الإيجار وجعله وحدة قائمة بذاتها، فكانت فردية البيت في القصيدة صورة لاستقلال بيت الشعر داخليا، فالاجتهاد للتقيد بهذه العادة أدى إلى الكثير من الضغط على الجمل والانتقاد في الألفاظ.

الإيجاز أحيانا، إحدى وسائل الجاهلي للخروج عن العادي من المعاني.<sup>1</sup>

**4 موسيقى ساذجة وفلذات وجدانية:****- موسيقى ساذجة:**

كل شعر موزون وكل شعر نغمة، وموسيقى، فإن النغم يقوى أحيانا ويشند حتى يطغى على التناسق الخفي الذي يعتمده النظم، فالإيجاز المتعمد يؤدي بالشاعر إلى تتابع وتلاحق الكلمات دون شرحا ولا تأليفا للجمل فينتج عن ذلك فضلا عن الإيجاز بساطة معنى وتصاعد موسيقى سريعة.<sup>2</sup>

**- فلذات وجدانية:**

الشاعر الجاهلي صدى بيئة الصحراء في تعابيره ومعانيه، فهو محب لبيئته فباتت نفسه نغما من أنغام قيثارته، فتحمل وصبر على تقلباتها، فأمدته القدرة على التفسير، فإذا بفلذات وجدانية تطفو على سطح العالم المادي، وإذا بالشعور الإنساني يتجلى غامرا الحيوان والأشياء من عواطف وحياة.

فالاحتكاك بالطبيعة يورث المشاركة الوجدانية التي تتبع من الألفة والتأمل العميق، فيحس هو بإحساس الطبيعة ويفسر الظاهري على أساس نفسي من تحليله الذاتي، واضعا نفسه مكانها ومعلّما ما يراه من خلال ما يتصور من انفعالات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص309-318.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص318-320.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص230-329.

### نقد الكتاب:

لقد أصاب سعدي ضناوي فيما ذهب إليه في كتابه أثر الصحراء في الشعر الجاهلي الذي ذكر فيه تاريخ العرب الجاهلية من خلال أشعارهم التي تأثرت بالبيئة الصحراوية وصورت بدورها حياتهم ورسمت حضارتهم وعبرت أن أفكارهم، وهكذا تجلى أديها بصفة عامة والشعر بصفة خاصة.

- ولكن ما يعاب عليه أنه اهتم بصورة كبيرة ومبالغة كمحور أساسي للشعر وإهماله الجانب العاطفي للشاعر الجاهلي، رغم أن الشعراء الجاهليين كانوا ينظمون أشعارهم على محبوباتهم ووصفهن والتغزل بهنّ والتحصّر عليهن.
- كما أن الشعر في الجاهلية لم يكن منظم حيث كان الشاعر الجاهلي يخلط بين وصفه لناقته ووصفه لمحبيبته.
- ربط الشعر بالبيئة الصحراوية، حيث أهمل شاعرية الشاعر وأحاسيسه الذاتية.
- إبراز الجانب البطولي في الحياة وإغفال المظاهر الأخرى التي لا تقل قيمة عنه.
- اهتمامه بالبيئة الصحراوية وأثرها في الشعر وإهماله لدور المرأة في حياته.
- التركيز على محاسن البيئة الصحراوية في تعليم البدوي الصبر، والقوة، والبطولة، وإهمال مساوئها كصعوبة العيش فيها من توفير الأكل والشرب وكذا صعوبة الترحال فيها.

خاتمة

أثرت الصحراء في حياة البدوي تأثيرا واضحا، فأصبحت جزء من حياته إذ ارتبطت بوجوده فصارت غناؤه وأشواقه ومعاشه، وحياته كلها، لذاك عظمها وشكلت مسار حياته، فتغنى بها.

فهو يحب الأرض في حله وترحاله فهي الجيب الذي لا يرام، فقد أحبها وجال في وهادها طلبا للرزق والراحة، وأبرز صور وجمال ومحاسن الصحراء وجسد الصورة البهية لها وما يقابلها من تشبيهات من حوله، فصارت لوحة مصورة، تصويرا صادقا عكس مظاهرها ومفرداتها وطبيعتها التي تدل على دراية وخبرة لأنهم يذكرون كل مظهر من مظاهرها في الموضع اللائق به، فانقلن في ذهن البدوي وعبر عنها الشاعر من خلال رحيله ووصفه للضعن والترحال وجمال الطبيعة الصامتة منها والمتحركة، فأصبع على هذه الصورة الواقعية لمسة فنية وصبها في قوالب بهية كانت أساسا للشعر العربي. وبناء على ما تقدم يمكن أن نطلق على الأدب في العصر الجاهلي أدب الصحراء لأنه نبت وترعرع في الصحراء واستقى كل معانيه منها ويمتاز هذا الأدب في معظمه بالقوة والجزالة وفصاحة اللغة والأسلوب.

وهنا نورد بعض النتائج:

- أنتت الصحراء بكل مظاهرها وأشكالها فعبرت عن مشكلات البدوي وهمومه وعواطفه الذاتية في حله وترحاله فيها.
- أنتت الصحراء بكل مكوناتها ومفرداتها في القصائد القديمة لتثبت أماكن وتاريخ وجغرافية المنطقة.
- تقديس العربي في البادية لراحته من أثر الطبيعة الصحراوية وذلك للنقلة والهجرة سعيا وراء الماء وموطن الاستقرار والكأ والظل، ولذلك نشأت أهمية الحيوان، وكان أشهرها الناقة ثم الحصان الذي كان اقتناؤه مظهرا من مظاهر الغنى.
- قساوة الطبيعة الصحراوية وشعور البدوي بالضعف أمام هذا المعاناة فرض عليه تقديس القوة والشجاعة والبسالة والشدة حتى أصبحت هذه الصفات مبدأ من مبادئ السيادة.
- نجد كل النظم والأصول والسلوك العربي في الصحراء كانت نتاجا لتلك الخصائص المناخية وغريزة التغلب على الحياة والمحرك الأساس لذهن العربي وتصرفاته.

- الطابع العام للشعر الجاهلي الذي نشأ في الصحراء اتسم بالجزالة والفصاحة ويمتلك الشعراء مواهب فريدة وجليلة وملكات قوية أنتت بتركيب متين للقصيدة وأداء رائع وبعد عن التكلف فأتى شعرا معبرا عن بيئة الصحراء.
- أنتت الطبيعة الصامتة والمتحركة من حيوان وشجر ورعد وبرق تتحدث بلسان الشاعر عن الأثر المباشر والتناغم الحركي تحت قبة الصحراء.
- الشدة والقوة والخشونة هي مميزات الصحراء، فهي صورة لامعة تقفز بالحس والمشاعر فوق قوة الإحساس العادي.



## قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر والحياة، [د.ط.]، [د.ت].
2. أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، المطبعة الرحمانية، [د.ط.]، 1926.
3. الألويسي، بلوغ الأرب، ج3، المطبعة الرحمانية، [د.ط.]، [د.ت].
4. أمرؤ القيس، الديوان، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1958.
5. حاتم الطائي، العقد الفريد، ج1، المجاني الحديثة، ج1، الشعراء الفرسان.
6. حتي وجبور، تاريخ العرب مطول ج1، دار الكشاف، [د.ط.]، 1058.
7. حسن السندوبي، شرح ديوان امرؤ القيس، المكتبة التجارية الكبرى، [د.ط.]، 1959.
8. زهير بن أبي سلمى، ديوان، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1960.
9. سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993.
10. طرفة بن العبد، ديوان، دار بيروت ودار صادر، [د.ط.]، 1961.
11. عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، ط1، 1946.
12. عبد الوهاب عزام، مهد العرب، دار المعرفة، مصر، [د.ط.]، 1946.
13. عنتر بن شداد، الديوان (شرح جماعة من الأدباء)، مكتبة الحضارة، دمشق [د.ط.]، 1957.
14. فؤاد أفراد البستاني، المجاني الحديثة، منشورات الأدبية الشرقية، [د.ط.]، 1946.
15. كارل ناللينو، تاريخ الأدب العربية، ج1، دار المعارف، [د.ط.]، 1954.
16. مصصفي السقاء، مختار الشعر الجاهلي، ط2، 1948.
17. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، مصر، [د.ط.]، 1959.

الفهرس

# الفهرس

البسمة

شكر و عرفان

إهداء

أ.....مقدمة

01.....مدخل

04.....بطاقة فنية للكتاب

## الفصل الأول: موطن الشعر الجاهلي (المناخ، النبات، الحيوان)

07.....أ- موطن الشعر الجاهلي

08.....ب- المناخ

13.....ج- النبات

14.....د- الحيوان

## الفصل الثاني: صفات البدوي في ترحاله

18.....أ- صفات عامة للإنسان

18.....ب- التفصيل في صفات البدوي

19.....ج- حياة التنقل

21.....د- النزوح والضعن

## الفصل الثالث: مراحل أسفار البدوي

24.....أ- البدوي والسفر

27.....ب- من ملامح وأخطار السفر

29.....ج- النزول

30.....د- توقيت وساعة الرحيل

## الفصل الرابع: الإطلال

32.....أ- معالم الطلل

34.....ب- الطلل والطبيعة

ج- وحي الطلل.....34

## الفصل الخامس: طابع الشعر الجاهلي

أ- البدائية والشعر.....39

ب- المادية وضعف المنطق.....40

ج- الإيجاز.....41

د- موسيقى وفلذات وجدانية.....42

**43**.....**نقد الكتاب**

خاتمة.....45

قائمة المصادر والمراجع.....48

الفهرس.....50

الملخص

## الملخص:

لقد أثرت الصحراء في نشأة الشعر العربي الجاهلي من حيث النشأة والتطور والموضوعات والمعاني، كما أنّها تشكل نواة الشعر العربي الأولى ومسيرته في معارج التطور والازدهار، فجعلت من الشعر الجاهلي تاريخ وجغرافيا سجل كل الأماكن والصور ومثل نقل وحي لكل مظاهر حياة البدوي، فعبّر إبداعه وفكره وأخلاقه ورؤيته للحياة رغم صعوبة البيئة الصحراوية.

## المصطلحات المفتاحية:

الصحراء، الإنسان، المكان، الجاهلي، الحيوان

## الملخص باللغة الفرنسية:

### Résumé:

Le désert a influencé l'émergence de la poésie arabe préislamique en termes de genèse, de développement, de thèmes et de significations. Il a également constitué le premier noyau de la poésie arabe et son parcours dans les voies du développement et de la prospérité. Il a fait de la poésie préislamique un histoire et géographie qui ont enregistré tous les lieux et images et représenté la transmission de l'inspiration à tous les aspects de la vie bédouine, reflétant sa créativité, sa pensée et sa morale. Et sa vision de la vie malgré l'environnement désertique difficile.

### Mots clés:

désert, homme, lieu, pré-islamique, animal

### Summary:

The desert influenced the emergence of pre-Islamic Arabic poetry in terms of its genesis, development, themes and meanings. It also constituted the first nucleus of Arab poetry and its path in the paths of development and prosperity. It made pre-Islamic poetry a history and geography that recorded all places and images and represented the transmission of inspiration to all aspects of the Bedouin life, reflecting his creativity, thought and morals. And his vision of life despite the difficult desert environment.

### Key terms:

desert, man, place, pre-Islamic, animal